انيس الجليس

﴿ الجزء التاسع — السنة الاولى ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣٠ ستمبر (تموز) سنة ٩٨ ﴾

﴿ الموافق ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣١٦ ﴾

﴿ جرائم التمدن ﴾

لقد تواترت علينا الانباء الاوربية في هذا العهد الاخير ناقلة الينا افظع عدوان البشر واشـد حالات الانسان قساوة وتوحشاً ألا وهي قتل الآباء والامهات اولادهم على اقبح الصور وافظع الميتات ولقد كان هذا ولا شك من نتائج هذه الحضارة الجديدة ومولودات مدنيتنا الحاضرة التي كانت كثرة اتساع الرزق فيها لاقوام سبباً مهماً لافراط ضيقه على اقوام كما يزداد اتساع الشيء المرن من جهة بشدة الضغط عليه من جهة ثانية

وعجيب لاوربا التي بلغت هـذا المبلغ العزيز من انبساط النعمة وتناهي السعة كيف يبلغ الشقاء بها الى هذا الحد حتى يرجع ببعض ابنائها الى اخشن اطوار الهمجية ويردهم الى اظلم حالات الجاهلية فيقتلون بعضاً من اولادهم او اولادهم كلهم خشية الاملاق او بسبب الاملاق نفسه

ولقد قلنا ان المدنية الجديدة هي التي سببت هذا التوحش ومن حقنا ان نقول ذلك لان هذه الحضارة كما انها قد حسنت حال الناس ووسعت بعض ارزاقهم فهي قد رفعت عقولهم كلهم وابعدت بهممهم جميعهم حتى صاروا يودون ان يكونوا اغنياء البنان كما هم اغنياء اللسان والجنان ومن اجل ذلك يلتفت المعسر منهم الى حال يده ثم يلتفت الى حال عقله وما تتناهى اليه نفسه من المطالب فيجد الفرق بينهما بعيداً جداً فيسوقه ذلك الى حد الجنون او تحول العقل الى الجنون تحولاً فجائياً فيصبح مفرطاً في كل اعماله فاما ان يقتل نفسه فيكون عظم عقله قد ساقه الى اسفل دركات العقل او يقتل حاكمه وعظيماً من قومه منقاداً باشد عوامل الضعف والمسكنة الى ابعد مطالب القوة والعزة او يقتل امرأته واولاده تخلصاً منهم فينحط من اعلى المراتب الانسانية الشفيقة الى ادنى درجات البهيمية والحيوانية بل حاشا للحيوان ان يبلغ مبلغ الانسان متى تحول عقله وضاق رزقه

على ان هذه الحالة التي نصفها لا تصدر عن مجنون يظل مجنوناً بعد انقضاء بربريته وتوحشه بل هو جنون وقتي يعرض للعقل ثم يزول بعد انقضاء اثره ولذلك نجد الكثيرين يثوب اليهم هدامهم بعد فظائعهم فيدركون ان ما عملوه كان هائلاً جداً يفوق محتمل الانسان فتقضي عليهم نهاية عقلهم وحكمتهم بان يقتلوا انفسهم بانفسهم تخلصاً من مرارة الحياة التي تعقب فعلهم واعتقاداً بان انتحارهم هو نهاية عذرهم فدلوا بجنونهم الاخير الذي يحسب حكمة في الحقيقة على انهم عرفوا ان الذي ارتكبوه اولاً كان جنوناً حقيقياً والا لتمادى معهم جنونهم الاول ولبثوا فيه لا يهمهم شيء مما كان

على ان هذه الاحوال سواء كان دواؤها ممكناً او غير ممكن فانما هي

من بنات المدنية التي لا بد منها فهي من قبيل البعض الذي ينفق فداء الكل ولكن كونها من لزوميات المدنية المتناهية امر لا شك فيه وذلك لاننا لا نسمع بحدوثها الا في مثل باريس ولندن ونيويرك ونظائرها من المدن التي تقترن بها غايتا الفقر والغنى وتجتمع عندها شدة البؤس بشدة الرخاء ولكن يندر جداً حدوثها في القرى والمزارع حيث الانسان انسان حقيقي وحيث المطامع معروفة الحد سهلة الامكان وما يقال عن هذا الشان خاصة يقال عن جميع الجرائم وكل اسباب العدوان التي لم يبق للان شك في ان المدنية هي التي اسستها ثم هي التي تتحمل خطوبها وألم التأثر بها اذ هي لولا المدنية لم تحصل وكذلك لولا المدنية لم يشعر بعظمها

على اننا في مقالنا هذا لا نبحث في العلاج الذي ينبغي لاوربا واميركا ان تتداويا به لمنع هذه الجرائم الفظيعة فان هذا الداء الجنوني قد كاد يجن من اجله رجال العقول فيهما التماساً لدوائه واحتيالاً على منعه ولكننا لا نخالهم ينجحون اذ هم كما انهم قد افرطوا بالمدنية واسرعوا فيها على غير نسق التدريج الطبيعي فهي قد انتقمت منهم واسرعت في انعكاسها عليهم بغير تدريج فصرت ترى عندهم نهاية الرحمة والعقل حتى لتخالهم اقرب الى المراتب الالهية منهم الى الانسانية وصرت ترى منهم افظع ما يتصوره العقل حتى تظن ارضهم جهنم وانهم ليسوا من البشر

ولقد يتوهم القارئ لاول وهلة ان في هذا القول غلواً او هو غير صحيح ولكننا لو امعنا الفكر فيه لوجدناه حقيقة صريحة لان مدنية اوربا الحاضرة على ما فيها من النفع العظيم لاهلها ولنا كثيرة الدواعي للشر والخصام بحيث لا يتفق الحالتان فيها بوجه من الوجوه فانت تجد العقل فيها

يستخدم لاكثر ما ينفع الانسان ويديم سروره وتجده من جهة اخرى مستخدماً للضرر والفتك فيمين فيها تبني المستشفى لايواء المريض الفقير ويسري تصنع المدفع والسيف ولكن لقتل من يصنع ذلك المستشفى واذية من يرد فقر الفقير وهذا هو الغلو وعدم التدريج الذي نشير اليه

اما نحن الشرقيين الذين نقلد اوربا بمدنيتها الصناعية والسياسية فنحمد الله على اننا ارقى منها في مدنية العواطف والاخلاق لانه اذا لم يكن عندنا نهاية البر والمعروف فكذلك ليس عندنا نهاية التوحش والقساوة بل مدنية عواطفنا متوسطة لاننا سرنا عليها بالتدريج ولكننا على كل حال بشر مثل الاوربيين والذي اسرعوا هم فيه عن طبع وخلق قد نسرع نحن فيه لنجاريهم عن صناعة وتقليد فنصبح مثلهم بالتناهي ولكن في الشر لان ايدينا تضعف عن التناهي في الخير ولسنا مثلهم في سائر ضروب المدنية التي يشفع لهم حلوها بمرها ولذلك فالاحتيال على امرنا ومعايشنا في دنيانا التي هي في ايديهم يعد من ادق السياسات وادعاها الى بحث اولي الحكم والعقل

وجدير بهذا البحث ان يسوقنا الى النظر في حال اولادنا وبناتنا في هذا العهد وما نجدهم مصابين به من صرامة آبائهم الشديدة فنحن لا يبلغنا الان بحمد الله ان رجلاً قد وأد بناته لشدة فقره او قتل اولاده خشية املاق ولكننا نشاهد ونسمع كثيراً عن صرامة متناهية يزعم الآباء فيها انهم يؤدبون اولادهم ولكنهم في الحقيقة يعدون مفرطين الى حد الانتقام والقتل وهو خلق قد ينمو في نفوسهم فيصلون به الى نفس القتل فيصير عندنا ضرر اوربا وحده غير ممزوج بمنافعها وفوائد مدنيتها

وهذا الشان دائم الحدوث متكرر الوقوع حتى لو حسبت اضرار

كثرته لقام مقام تلك الحوادث النادرة الفظيعة التي تبلغنا عن اوربا وهي فظاعة اذا لم نلم عليها الاباء لان لومنا لا يبلغهم فانا نلوم الحكومة لاغضائها عنها وتقصيرها في منعها رداً بالشرقي الى خلقه القديم وطبعه المعتدل السابق

على ان هذه الفظاعة التي نشير اليها لا تقصر على اذية الاولاد والبنات اذية حسية تتناول جلودهم واجسادهم بل هي تتصل كل الاتصال بآدابهم واخلاقهم ولذلك لا تجد الان عندنا بين طبقات الشعب الفقيرة حالة تسمى بالاسرة او العائلة لان قساوة الام على ابنتها والوالد على بنيه تحل ربط القربى بينهم وتفرق مجموعهم فينشأ كل منهم ولي نفسه وقائد ذاته وذلك انما يكون على الغالب في المدن الكبرى والعواصم العظمى اتباعاً لنصوص المدنية التي اشرنا اليها

واذا شاء الاسكندري او القاهري ان يتحقق صدق هذا القول فلينظر الى الغلام الفقير يجد مدرسته الازقة واستاذه الرذيلة والفقر وكتبه السباب والشتيمة ومأواه رصيف شارع او زاوية زقاق وحرفته جمع بقايا السيكارات او لمّ العظام والخرق البوالي هارباً به فقره من قساوة ابيه وفقره طارداً له جهله من مواطن اسرته واجتماع عائلته فينشأ نافراً وحشياً يستحل المجارم ويستبيح المنكرات لان القسوة علمته القسوة والظلم ساقه الى الظلم وانظر الى الفتاة المسكينة تجدها اشقى منه حالاً واضل سبيلاً فهي تطردها قساوة الفقر من حضن امها فتجول صغيرة كاخيها مأواها الازقة وفراشها المدر والاقذار حتى اذا كعبت تلقتها مدارس الهوى وتناولتها حلقات البغاء فكان مصيرها شؤماً على نفسها شؤماً على بلادها وحكومتها شؤماً على الانسانية والفضيلة ولا نقول شؤماً على اسرتها لان اسرتها لا تدري من امرها شيئاً

ولا هي ذات حنين الى اخ او نسيب

من هناك تنشأ الجرائم وعلى هذا الاساس يبنى الانتحار وتوضع الفظائع. انه لا ينتحر الغني لان له من غناه حرصاً على نفسه ووقاية لحياته. ولا يسطو الموسر على اخيه مرتكباً افظع الجرائم لان امواله تدفع حاجته واضطراره وتنشئ في قلبه الخوف والحذر. ولا ينتحر الفقير العاقل ذو المهنة والحرفة لان عقله يمنع يأسه. ولا يسطو المسكين المرتزق من حال معروفة لان له من اتصال عمله ودوام كدحه ما يصرف عنه ظنون السوء ويرد يده عن فعل الشر. ولكن ينتحر الجاهل اليائس متى ضاقت به الدنيا وحولت عقله عن مركزه. ويرتكب الجريمة من نشأ على القساوة فلا اسرة له فيخشى عليها ولا ام عرف حنوها فشب على اخلاقها. ويسطو المدقع الذي ابعدته قساوة التربية عن الاحتراف فلا يجد له حرفة غير الشر الذي لا راس مال له ولا علم. وانما تبعث الشر تلك الفتاة الشقية التي تطردها القساوة والفقر من كنف امها وابيها فتطرد هي الرحمة والفضيلة من قلبها

من هناك قد نشأت الفظائع ومن هناك بلية الدنيا كلها ونحن اذا لم يكن عندنا انتحار فظيع ولا عدوان عائلي رائع فسيكون عندنا بعد قليل لان المدرسة موجودة والاستاذ ماهر والتلميذ يقظ منتبه فهل من اولي برّ في بلادنا يستدركون حال هذه الفتاة الدنيئة التي اذا امكن ان يصدر منها اشد حالات الشر فقد امكن ان يكون منها احسن حالات الخير فقد كاد يصبح اولادنا الفقراء لصوصاً وقتلة من قساوة آبائهم وانحلال مجموع عائلاتهم وكاد كل بناتنا المعسرات يصبحن في مهاوي البغي والفساد من مظالم امهاتهن ومظالم الفقر والحكم فهل اذا اعجزنا ان نجعل الفقر غنى والعسر يسراً افيعجزنا

ان نقرن الفقر بالفضيلة وان نجعل حياة الفقير مستريحة فنحبب حياته اليه ونأمن على ارواحنا من فتكات يأسه وجهله

تلك حال لا طبيب لها الا الحكومة تتصرف بكل جهدها اليه وتمنع هذا الجمهور الكثيف والسيل الجارف من الشعب ان يصبح مصيبة على البلاد وويلاً متدفقاً عليها بالشر فتسعى جهدها في منع المظالم العائلية وتراقب الناس في بيوتهم كما تراقبهم في شوارعهم لان بيوت الفقراء قد صارت في بلادنا مدارس شر مستقلة عن (نظارة المعارف) فلا نظر يرمى به اليها ولا احد يدري ما يجري وراء تلك الجدران من بنات تضرب باشد القساوة حتى لو درين الانتحار لانتحرن هرباً من الحياة وغلمان يعاملهم يأس الفقر باشد عوادي الانسان فيخرج الكل من هناك تفتش عنهم فاما هم في زوايا السجون واما هنّ بين بيوت الهوى والخلاعة

فهل هذا هو وطننا المستقبل وهل اولئك رعية حكومتنا القادمة وهل صحيح اننا سنصير بعد قليل كبعض اهالي اوربا نقتل اولادنا ونستحل افظع الجرائم في بناتنا واطفالنا فنكون معدمين من مدنية الاخلاق ومدنية الافعال

اننا نعيذ بلادنا المحبوبة التي نسلت اقطاب الدنيا وانبتت شرائع المجد والحكمة ان تصير كما نخشى ونعيذ حكومتنا وعباسنا المعظم ان يكون ممن يرضى لبلاده وابنائه المصريين بهذه الحال

اذن فنحن نترقب بعد قليل ان نرى مراقبة حكومة صارمة فتمتنع كل مظالم العائلات ويرتد كل ذلك التفرق والانحلال الى تجمع وارتباط فلا تكون البنت الا في حضن امها ولا الغلام الا في منزل ابيه لانه من العار

علينا اذا اعجزنا ايسار المعدمين وفتح المدارس للجاهلين ان نجعل راس مال الفقير التوحش والهمجية ومن اقبح المعايب ان تكون مدارسنا في السجون واخدار بناتنا في اسواق الهوى والمجون

﴿ حكم محكمة التميز ﴾
في قضية القلب والعين

مصر في ٨ ستمبر سنة ٩٨

حضرة الفاضلة السيدة الكسندره صاحبة مجلة انيس الجليس

اطلعت في العدد الاخير من مجلتك الزهراء على حكم نقض وابرام صدر في قضية القلب والعين غير حكم النقض والابرام الذي بعثت به لحضرتك. ومن بحر وقافية غير بحر القضية ورويها ويتضمن ان الجاني هو الهوى. ولما كان الحكم المقدم منا ان الجاني هو الجمال فحرصاً على واجبات المحاماة قد رفعنا الامر لمحكمة التميز لتقضي بتمييز احد الحكمين وصدر حكمها بالآتي

كل نفس بها هوى   من جمال لها غوى
وترى الحب ناره   ملحبيب الذي كوى
انما الحسن علة الـ   ميْل والعَلُّ كم روى
واذا لم يكُ الجما   ل فلا يوجد الجوى
ولهذا فعاصمٌ   صائب في الذي روى

اسماعيل عاصم